القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الاضطهاد

١٠

عبد الحميد جودة السحار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقربين ، واخْفِض جَنَاحَك لمن اتّبعك من المؤمِنين ، فإن عَصوْك فَقُلْ إنّى برىءٌ ممّا تَعْمَلُون . وَتوكّل عَلَى العَزِيزِ الرَّحِيم ، الّذى يَرَاكَ حِينَ تقوم ، وَتَقلُّبكَ فِي السّاجِدِين ، إنّه هُو السَّمِيعُ العَلِيم ﴾ .

(قرآن كريم)

١

عَلِمتْ قريشٌ أن محمَّدًا يزعُمُ أنَّه نبىّ ، يأتيه الخبرُ من السَّماء ، وأنه يدعو إلى عبادةِ إلـهٍ واحد ، وأنَّه يسُبُّ آلهتَهم ؛ فراحوا يتجسَّسون عليه وعلى من اتَّبَعه . وفى يوم خرج سعدُ بنُ أبى وقَّاص مُستخفِيا ، لينضمَّ إلى من أسلموا ، وليُصلِّىَ معهم ، فسار خلفَه رجلٌ من قريش ، وسعد لا يراه ، حتَّى إذا وصلَ سعدٌ إلى المكان الّذى به محمدٌ وأصحابُه ، عاد الرَّجُل إلى قريش ، يُخبرُهم بمكان المسلمين .

قام محمدٌ ﷺ يُصلِّى بأتباعِه ، وفى ذلك الوقتِ جاء أبو جهل وبعضُ النَّاس ، ووقفوا خَلفَ شجرةٍ ينظرون إلى المصلّين .

ولما انتهت الصَّلاة ، ذهب سعدٌ لقضاء حاجة ،

فرأى أبا جهل ومن معه ، فقال له أبو جهل :

ـ ماذا تفعلونَ هنا ؟

وراح أبو جهل يَعيبُ صلاةَ المسلمين ، وضحِك زملاؤه ، فغضِب سعد ، وتناول عظْمَ بعير ، فضرب به وجهَ رجلٍ من المُشْركين ؛ وأصيب سعد فى أذنِه ، فعاد إلى حيثُ كان محمدٌ وصحْبه ، فضَمَد له رسولُ اللّه ﷺ جُرحَه بيده ، وقال له : فى سبيل اللّه دمُك يا سعد .

٢

وجاء جبريلُ إلى محمّدٍ بأمرِ اللّه ، يأمُره أن يدعُوَ النّاسَ جَهْرا ، امتثالا لأمر اللّه تعالى : « وأنذِرْ عشيرتَك الأقرَبين . واخفِضْ جناحَكَ لمن اتّبعك من المؤمنين ، فإن عصوْكَ فقُلْ إنّى برىءٌ مما تعملون ، وتوكّل على العزيزِ الرّحيم ، الذى يراكَ حين تقوم ، وتقلُّبكَ فى السّاجدين ، إنه هو السميعُ العليم » .

فخرج محمدٌ ﷺ ، ينفّذ ما أمرَه اللّه به فصعدَ على الصّفا ، ثم نادى :

ــ يا صباحاه !

فاجتمعَ النّاس إليه ، فقال لهم :

ــ يا معشرَ قريش ، أرأيتم لو أخبرتكُم أنَّ خيْلا بسفحِ هذا الجبلِ تريدُ أن تُغيرَ عليكم ، أتُصَدِّقوننى ؟

قالوا :

ـ نعم .

ـ فإنى نذيرٌ لكم بين يدَىْ عذابٍ شَديد . يـا بَنـى مَخزوم ، يا بنى أســد ، إن اللّـه قـد أمرنـى أن أنـذِرَ عشيرَتِىَ الأقربـين ، وإنـى لا أملِكُ لكـم مـن الدُّنيـا منفعة ، ولا من الآخرةِ نصيبا ، إلا أن تقولوا : لا إله إلا اللّه .

فقال له أبو لهب :

ـ تبًّا لك سائرَ اليوم ، أما دَعَوْتَنا إلاَّ لهذا ؟

فـأوحى اللّـه إلى رسـوله : « تَبَّتْ يـدا أبـى لَهَـبٍ وتبّ ، ما أغنى عنه مالُه وما كسَب ، سـيصلى نـارًا ذاتَ لَهَب ، وامرأتُه حَمّالَةَ الحطب ، فى جيدِها حبـلٌ من مَسدَ » .

فانسحب أبو لهب ، وانسحبتْ امرأتُـهُ أمُّ جميـل ، فانسحب الناسُ خلفَهـم ، وبقِـىَ محمـدٌ علـى الصَّفـا وحدَه .

٣

حَزِن رسولُ اللّه ﷺ لما أعرضَ النّاسُ عنه ، وأمر عليًّا أن يُجهِّزَ طعاما ، وأن يدعوَ أكابر قريش إليـه ، ففعل عليّ ؛ فدعا أبا طالب ، وحمزة ، والعبّاس ، وأبا لهب ، وأناسًا آخرين ، وقدّم لهم الطّعام ، فلما شبعوا ، قال رسولُ اللّـه ﷺ : « يا بنى عبد المُطّلب ، إنّى واللّه ما أعلمُ شابًا من العرب جاءَ قومَه بأفضلَ ممّا جئتكم بـه ، إنى قد جئتُكم بخيرِ الدُّنيا والآخرة . وقد أمرنى اللّـه أن أدعوَكم إليه ، فأيُّكُم يؤازرُنى على هذا الأمر ، على أن يَكون أخى ووصيّى ، وخليفتى فيكم » !

فصمتَ القوم ، وقام علىّ ، وكان أصغرَهم ، وقال :

ـ أنا يا نبىّ اللّه ، أكونُ وزيرَك عليه .

فأخذ النبى برقَبةِ علىّ ، وقال :

ــ إن هـذا أخى ، ووصيِّى ، وخليفتى فيكـــم ، فاسمعوا له وأطيعوا .

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب :

ــ قد أمرك أن تسمعَ لابنِك وتُطيع .

٤

راح مُحَمَّدٌ وأصحابُـه يعبُدونَ اللّـه مُسْتَخْفِينَ فـى دارِ الأرقم ، وهى دارٌ قريبةٌ من الصَّفـا ، وفـى ذاتِ يومٍ قابل أبو جهل محمَّدا ، فراح يُسبُّه ويَعيبُ دينَه ، ومحمـدٌ صـامتٌ لا يـردُّ عليـه ، ورأى رجـلٌ ذلـك ، فتعجَّب من حِلم محمَّدٍ وسَعَةِ صـدرِه ، ولَمـحَ ذلـك الرَّجلُ حمزةَ بن عبدِ المطَّلب قادمًا من الصَّيد ، وكان حمزةُ عمُّ النَّبى ، شُجاعًا قوِيّـا ، فذهـب إليـه الرَّجـلُ وقالَ له :

ـ لو رأيتَ ما فعلَ أبو جهلٍ بابنِ أخيـك ؛ سـبَّه ، وعاب دينَه ، ونالَ منه .

فغضِب حمزة ، وذهب إلى الكعبةَ ، فرأى أبا جهلٍ جالسا بينَ قومـه ، فرفـعَ حمـزةُ قوسَـهُ ، فضـرب أبـا

جهل بها ، فسالت دماؤه ، فقام رجالٌ من أنصارِ أبى جهل لينصروه ، وقالوا لحمزة :

- ما نراك يا حمزةُ إلا دخلتَ فى دينِ ابن أخيك ؟

فقال حمزة :

- ومن يمنعُنى وقد استبانَ لى منه ما أشهدُ أنّه رسولُ اللّه ، وأن الّذى يقولُ حقّ ، فواللّه لن أتركَ دينه ، فامنعونى إن كنتُمْ صادقين .

وسار حمزةُ والرِّجال ينظرون إليه ، دُون أن يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا ؛ كان قويا شجاعا .

وذهبَ إلى محمَّد ليُعلنَ إسلامه ، فلما قابله قال له :

- أشهد أنك الصادقُ شهادةَ الصِّدق ، فأظهر يابن أخى دينَك ، فواللّه ما أحبُّ أن لى ما أظلتْه السَّماء ، وأنّى على دينىَ الأول .

وفرِح محمد ، لأن اللّه أعزَّ الإِسلام ، بإسلامِ عمِّه حمزة .

٥

راح محمَّدٌ ﷺ ، يسُبُّ آلهةَ قُريش ، فغضب القُرَشِيّون ، ولكنّهم رأَوْا أنَّ عمَّه أبا طالب يعطفُ عليه ، فقرّروا أن يذهبوا إلى أبى طالب يكلّمونَه فى أمرِ ابنِ أخيه ، فمشى رجالٌ من أشرافِ قُريش إلى أبى طالب ، منهم : عُتبةُ بنُ ربيعة ، وشيْبةُ بن ربيعة ، وأبو جهلِ بن هِشام ، والعاص بنُ وائل ، وأرسلوا إليه رجُلا قال له :

ـ هؤلاء مَشْيَخَةُ قومِك ، وسرَاتُهم (أشرافُهُم) يستأذنونَ عليك .

فقال له أبو طالب :

ـ أدخِلْهم .

فلما دخلوا عليه قالوا :

ـ يا أبا طالب ، أنت كبيرُنا وسيِّدُنا ، فأنصِفْنا من ابنِ أخيك ، فمرْهُ فليكُفَّ عن شتمِ آلهتِنا ، وندعَه وإلَهه .

فأرسلَ أبو طالبٍ إلى النّبىَ ﷺ ، فلما دخل عليه ، قال له :

ـ يا بنَ أخى ، هؤلاء مَشْيَخَةُ قومِك ، وقد سألوكَ أن تكُفَّ عن شتمِ آلهتِهم ، ويَدَعُوك وإلهك .

فقال محمدٌ ﷺ :

ـ أى عمّ ، أوَلا أدعوهم إلى ما هو خيرٌ لهم منها ؟

قال أبو طالب :

ـ وإلى أىّ شىء تدعوهم ؟

ـ أدعوهم إلى أن يتكلّموا بكلمةٍ تدين لهم بها العرب ، ويملكونَ بها العَجم .

فقال أبو جهل :

ـ ما هى وأبيك ، لنعطِينّكها وعشرَ أمثالها .

قال رسول اللّه ﷺ :

- تقول : لا إله إلا اللّه .

فغَضبوا وقالوا :

- سَلنا غيرَ هذه .

وقال أبو طالب :

- فأَبقِ عليَّ وعلى نفسِك ، ولا تُحَمِّلنى من الأمر ما لا أُطيق .

فظَنَّ رسولُ اللّه أنَّ عمَّه سَيترُكه لهم ، فقالَ له :

- يا عمّاه ، لو وضعوا الشَّمسَ فى يمينى ، والقمرَ فى يسارى ، على أن أترُك هـذا الأمرَ حتى يُظْهِرَهُ اللّه أو أهلِكَ فيه ، ما تركُته .

وبكى رسولُ اللّه ، ثـم قـام ، فلمـا ابتعـدَ رَقَّ لـه قلبُ أبى طالب ، فناداهُ وقال له :

- أقبلْ يا بنَ أخى .

فجاء إليه رسولُ اللّه ﷺ ، فقال له أبو طالب :

- اذهبْ يا بـنَ أخـى ، فقُـلْ مـا أَحببـت ، فواللّـه لا أُسلِمُك لشىء أبدا .

رأى أَشرافُ قريش أنَّ أبا طالبٍ لنْ يُسْلِمَ ابنَ أخيه ، فأتَوا إليه ومعهم عُمارةُ بن الوَليد ، وكان أجملَ فتىً فى قريش ، وقالوا لأبى طالب :

ـ يا أبا طالب ، هذا عُمارةُ بنُ الوليدِ أَجملُ فتىً فى قُريش ، فخذْهُ واتَّخِذْهُ ولدًا ، فهُو لَك ، وأَسلِمْ لنا ابنَ أخيك ، هذا الَّذى خالفَ دينَك ودينَ آبائك لنَقْتُلَه ، فإنَّمَا رجلٌ برجُل .

فقال أبو طالب :

ـ وللّه لبئس ما تَسومونَنى ، أتُعطونَنى ابنَكم أغذوهُ لكم ، وأعطيكم ابنى تقتُلونه ؟ هذا واللّه ما لا يكونُ أبدا .

٧

رأى ساداتُ قُريش أنَّ الدِّينَ الجديدَ بدأ ينتشر ، فَخَشُوا أن يؤَثِّر ذلك فى مركزِهم ، فقامت كلُّ قبيلةٍ تعذِّب من أَسلمَ فيها ، فكان أميَّةُ بنُ خَلَف ، يأخذُ عبدَه بلالا ، ويَخرجُ به إلى الصحْراء ، ويضعُ الصخرةَ العظيمةَ على صدرِه ، ثم يقولُ له :

ـ لا واللّه ، لا تزالُ هكذا حتى تموتَ أو تكفُرَ بمحمَّد ، وتعبدَ اللّاتَ والعُزَّى .

فيقول بلال :

ـ أحد .. أحد .

ومرَّ أبو بكر به وهو يُعذَّب ، فاشتراهُ من سيِّده ، وأطلقَه لوجه اللّه .

وكانت بنو مخزوم ، (وهى قبيلةٌ من قبائِل مكة) يَخْرجون بعمَّارِ بن ياسر ، وبأبيهِ وأمِّهِ فى الحرِّ

الشَّديد ، ويُعذِّبونهم ولكنَّهم كانوا يأبَوْنَ أن يتركوا الإسلام .

ومرَّ بهم رسولُ اللّه ﷺ ، وهم يتلوَّوْن من الألم ، فقال لهم :

- صبرا آل ياسِر ، موعدُكم الجنة .

فصبروا على العذاب ، حتّى إنَّ أبا جهل ضايَقه صبرُهم ، فطعنَ سُمَيَّةَ أمَّ عَمار بحرْبة فقتلها .

وراح ساداتُ قُريش يضربون المُسلمين ويجيعونَهم ويُعطِّشونهم ، ليكفُروا باللّه ، وليعبُدوا الأصنام ، ولكنَّ المسلمين ثبتوا للتعذيبِ والاضطهاد ، فما كانوا ليعودوا إلى الظّلام ، بعد أن هداهُمُ اللّه إلى النُّور .